في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فظيعا فقالوا يعني الكفار يا ليتنا نرد يعني الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون
من المومنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يومنوا ولا يكذبوا بايات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فما اخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم
حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الاية
في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا
ونكون من المومنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيمة واهوالها وما اعد الله في الاخرة من الثواب للمومنين المطيعين
وما اعد الله للكفار من العقاب والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا
التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هولا الكفار الذين
وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضايه ومسيلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
اي يقول الله يوم القيمة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به
وتقولون لا بعث ولا نشور حقا قالوا بلى وربنا يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فلما جاوا فقالوا
بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا
قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون
بما ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب اي يقول الله لهم ذلك والخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى
وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدونه يتالم العذاب وجدان الذايق في شدة الاحساس بما كنتم تكفرون
يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا
انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى بالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم
في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيامة
فجاة سميت القيامة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت
ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلايق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني
منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا والحسرة
التلهف على الشي الفايت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة
على ما فرطنا يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا
على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى
الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران
لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون
به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم
الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة وراوا ما لحقوا من الخسران في بيعهم قالوا حينيذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى
الطبري بسنده عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار
منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم يعني اثقالهم والاوزار

الخطايا

الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر
من يحملها قال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شي صورة واطيب ريحا فيقول
هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شي صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هاني يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هول صورته وقبحه
زاده خوفا فيقول له بيس الجليس انت فيقول انا عملك طال ما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك
على رؤس الخلايق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال وزر علي كلام فلان
بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم
لا تزايلهم كما يقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بيس الشي شيا يحملونه وقال ابن
عباس بيس الحمل حملوا قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا جواب رد على منكري البعث
في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المومن والكافر قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن لا يزداد
بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا لحصول السعادة
في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول
الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضايه يحصل له
الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان لهذا التقدير ان المراد بهذه
الحياة حياة المومن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها
كالشي الذي يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة
وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يتعدى ولاشتغالهم
عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو قوله تعالى وللدار الاخرة خير يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله
الدار الاخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك
وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن
شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فانه ليس هنا احد
يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي
صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب بالذي جيت به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي طالب ان ابا
جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)